الكاتب: عبد القادر عزام عوادي
قسم العلوم الإنسانية- كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية- جامعة الوادي

عنوان المقال: **دور الحاج يحي بن حمو الواهج في خدمة الطلبة الميزابيين في تونس وعلاقته بالثورة الجزائرية .**

البريد الالكتروني: aouadi-abdelkaderazem@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2020/03/03 **تاريخ القبول**: 2020/03/16 **تاريخ النشر**: 2020/03/31

دور الحاج يحي بن حمو الواهج في خدمة الطلبة الميزابيين في تونس وعلاقته بالثورة الجزائرية The role of Haj Yahya Bin Hamo louadj in serving the Mozabite students in Tunisia and his relationship with the Algerian revolution

الملخص بالعربية:

ساهمت الكثير من الشخصيات الجزائرية في خدمة المجتمع الجزائري في عدة مجالات وجوانب، ومن هذه الشخصيات من وجد اهتماما من طرف الباحثين والمؤرخين، ومنها من لقي النسيان والتهميش في جانبهم، ربما لظروف تاريخية، أو اجتماعية، أو يرجع للشخصية في حد ذاتها التي قد تكون تعمل في صمت ومن دون لفت انتباه، ومنها شخصية الحاج يحي بن حمو الواهج، الذي كان شخصية محورية بإمتياز في العمل الخيري والثقافي والاجتماعي، وبعد ذلك في العمل الثوري والنضالي لصالح الثورة التحريرية المباركة.

الكلمات المفتاحية:

يحي الواهج، واد مزاب، تونس ، الجزائر، البعثة البيوضة، الثورة الجزائرية، إبراهيم بيوض.

Abstract :

Many Algerian personalities have contributed to serving the Algerian society in many fields and aspects, and among these figures are those who have found interest on the part of researchers and historians, including those who have been forgotten and marginalized on their side, perhaps due to historical or social circumstances, or due to the personality in itself that may be working In silence and without drawing attention, including the figure of Haj Yahya bin Hamo Al-Wahej, who was a pivotal figure with distinction in charitable, cultural and social work,

and then in revolutionary and militant work for the benefit of the blessed liberation revolution.

Keywords:

Yahiya louahdj, oued m'zab, Tunisia, algeria, algérien révolution, Ibrahim bayoudh

المقدمة

ان الحديث عن الشخصيات الغير معروفة والغير مدروسة، صعبة جدا من حيث التناول العلمي والأكاديمي، وخاصة اذا كانت هذه الشخصية متوفية ومن عاصروها أيضا رحلوا عن هذه الدنيا الفانية، والصعوبة الأخرى في كل هذا أن هذه الشخصيات قامت بأعمال جليلة ولكنها للأسف لم تؤرخ ولم توثق نظرا لطبيعة أعمالهم وأيضا لمدى اخلاصهم وصدقهم في تلك الأعمال وعدم البوح بها والتصريح بها واعتبارها أعمالا بينهم وبين الخالق فقط. وهنا يقف الباحث محتارا أمام صعوبة المهمة في التعريف بأعلام الرجال في فترات تاريخية متعددة وبين قلة المادة المتوفرة.

والشخصية التي نحن بصدد الكتابة عنها قامت بالكثير من المجهودات والتضحيات الوطنية في زمن كانت فيه الوطنية جريمة.

هناك بعض المراجع التي أشارت لبعض أعمال ونشاطات الشيخ يحي بن حمو الواهج، سواء من حيث أعماله الخيرية تجاه الطلبة الميزابيين في تونس، أو نشاطاته ضمن الثورة التحريرية وخاصة في عملية نقل البريد وربط الاتصال بين الداخل والخارج.

ومن المصادر المتوفرة لدينا أيضا هي بعض المراسلات التي كانت بين الشيخ يحي بن حمو الواهج وصديقه الشاعر والكاتب الشهير صالح خرفي، واستقينا منها بعض المعلومات الهامة، وسنحاول من خلال هذا المقال التعريف بشخصية يحي بن حمو الواهج، ثم التركيز على أهم الأنشطة والأعمال التي قدمها الشيخ سواء للبعثة الطلابية في تونس، أو للثورة التحريرية.

التساؤلات:

كيف كان تواجد الشيخ يحي الواهج في العاصمة التونسية؟ استقرارا دائما؟ أم كان متنقلا بين الجزائر وتونس؟ وما طبيعة التجارة التي كان يقوم بها؟ وفي أي مكان بالضبط كان مستقرا؟ ومكان دكانه؟

ما علاقته مع الطلبة المزابيين؟ وما الخدمات التي قدمها لهم؟ كيف كان يتواصل مع الميزابيين في مزاب؟ وما هي أهم الوظائف التي أوكلت له في تلك المرحلة؟

كيف بدأت علاقة الشيخ مع الثورة التحريرية؟ من هي الشخصية التي عرفته وأدخلته في النظام؟ ماهي الشخصيات الثورية التي كان يتواصل معها؟ ما طبيعة العمل الذي كان يقوم به؟

هذه جملة من التساؤلات التي نطرحها حول شخصية الشيخ يحي بن حمو الواهج، والتي سنحاول الإجابة عنها من خلال التعمق في بعض المصادر والمراجع التي تطرقت لهذا الموضوع أو من المراسلات الموجودة أو من بعض اللقاءات التي قمنا بها مع عينة من الطلبة المزابيين خلال قيامنا بإنجاز دراستنا حول موضوع هجرة سكان بني مزاب الى تونس، وأيضا من بعض المعلومات التي استقيناها من ابنه الفاضل الأستاذ يوسف الواهج حفظه الله.

ربما قبل الخوض في الحديث عن التعريف بالشيخ يحي الواهج أود أن أنوه إلى عنصر مهم، وهو التواجد المزابي في الحاضرة التونسية خلال الفترة الاستعمارية، وكما هو معلوم أن تونس كانت قبلة للجزائريين بصفة عامة بعد احتلال الجزائر، واعتبروها كملجأ وملاذ آمن لهم، وكان من بين أبرز الفئات السكانية التي لجأت الى تونس فئة الميزابيين لعدة اعتبارات.

الحضور المزابي في البلاد التونسية خلال الفترة الاستعمارية:

الحديث عن الحضور والوجود المزابي في الحاضرة التونسية خلال الفترة الاستعمارية 1881-1956، لا يمكن حصره في بضع أسطر، ولكن سأحاول تقديم مقتطفات عامة تساعد في فهم تبسيط أهم عناصر هذا المقال حتى يتسنى للقارئ الكريم الإحاطة ولو بعموميات الموضوع المطروح.

يعد الشيخ أبي زكريا يحي الأفضلي[1] من العلماء البارزين الذين شهدتهم منطقة وادي ميزاب، نظرا للعمل الجبار الذي قام به تجاه منطقته، ولقد تزعم حركة إصلاحية شاملة واعتبر بحق أول باعث للإصلاح في وادي ميزاب، ولقد كان للشيخ أيضاً دور بارز في ربط علاقات التواصل العلمي والروحي بين وادي مزاب وجزيرة جربة، خلال القرن الثامن عشر للميلاد.

تلقى الشيخ الأفضلي مبادئ العلوم الأولى في مسقط رأسه ببني يزقن، ولكنه كان يطمح إلى ما أكثر من ذلك وشغوفا للحصول على منابع متعددة ليغترف منها العلوم والمعارف[2]، وعندما رأى أن منطقة مزاب لم تعد تكفي غرضه في طلب العلم، وأيضاً أحس الشيخ الأفضلي أن

وطنه مزاب بدأ يدركه الجهل عزم أن يكون عالما مصلحا لينقذ وطنه مما هو فيه، لهذا فكر الشيخ في الرحلة نحو جزيرة جربة التونسية.

فكانت جزيرة جربة في تلك الفترة تتمتع بالعلماء المخلصين الكثيرين، ومما شجع الشيخ أيضاً للتوجه نحو جزيرة جربة هو وجود العديد من إخوانه الذين يكفلونه بأموالهم وبالأوقاف الكثيرة التي أوقفت لأمثاله من طلبة العلم، وبالفعل هاجر الشيخ إلى جزيرة جربة.

وقد أخذ الشيخ الأفضلي العلم على العديد من علماء جربة، ولكنه تأثر بشيخه يوسف بن محمد المصعبي المليكي الذي كان يعد شيخ جربة وزعيمها، لهذا أعجب به الشيخ كثيرا وجعله قدوته ومثله الأعلى، وقام الشيخ المصعبي أيضاً بتقريبه والإعتناء به، من أجل إحياء وطنه مزاب الذي يعد موطن الشيخ المصعبي أيضاً[3].

مكث الشيخ الأفضلي في جربة ما يقارب اثنتي عشرة سنة طالبا للعلم، فجمع الشيخ الأفضلي عديد العلوم والمعارف من جربة والأزهر بمصر، وعاد إلى موطنه يحمل زادا علميا وفكريا، وهما كبيرا من أجل إصلاح المجتمع الميزابي والرقي به، وبعث الحركة العلمية والثقافية الراكدة في المنطقة.

فبذل جهودا في دروسه ووعظه لإرشاد الناس إلى صالح الأفعال، وبالفعل نجح الشيخ الأفضلي في تكوين نخبة من الطلبة النجباء في الذين تحملوا عبء المسؤولية من أجل مواصلة مسيرة الإصلاح[4].

هكذا كانت العلاقات التاريخية المشتركة بين منطقة مزاب وتونس وخاصة منها جزيرة جربة، والتي ميزتها العلاقات المذهبية بالدرجة الأولى بحكم أن كلا سكان المنطقتين يتمسكون بالمذهب الإباضي، وأيضاً المميزات اللغوية بحكم أيضاً أن أصحاب المنطقتين يتحدثون اللغة الميزابية الأمازيغية، والإرث التاريخي والحضاري المشترك كل هذه العوامل كانت مساعدة وبشكل كبير في تكوين علاقات ثنائية مميزة، غلب عليها الطابع الثقافي والديني بالدرجة الأولى ثم الطابع الاجتماعي والاقتصادي بالدرجة الثانية.

وأما في الفترة المعاصرة أو الفترة التي نحن في سياق البحث فيها، فلقد تميزت بظهور ما يسمى بالبعثات العلمية الطلابية نحو تونس، ونستطيع القول أن العامل المباشر في ظهور أول بعثة لإباضية الجزائر في تونس هو ما وقع للمدرسة الصديقية العصرية بتبسة، بعد وأدها في مهدها بطريقة مقيتة، فكان رد فعل أولياء التلاميذ هو التفكير الجدي والعزم الأكيد على

تحدي هذه الخطوة الاستعمارية بإرسال أبنائهم إلى تونس لاستكمال دراستهم في مدارسها العربية العصرية المماثلة للمدرسة الصديقية، التي أرادت السلطات الاستعمارية أن تحرم أبناءهم من الدراسة والتعلم فيها.

وقبل هذه البعثة بسنة واحدة كان الشيخ إبراهيم أبي اليقظان[5] متواجدا هناك، وكانت فكرة الخروج من وادي مزاب تراوده منذ فترة حينما طرحها على زملائه من الطلبة في سنة 1912م، وهم يدرسون في حلقة شيخهم الحاج عمر بن يحي، ولكن لم يوفق في إقناع رفقائه، فقدر الله وأن مرض من عينيه فكان السبب المباشر للسفر نحو تونس بحثا عن العلاج وكان ذلك في سنة 1913م، وما إن نزل هناك حتى التحق بجامع الزيتونة وواظب على حضور حلقات كبار المشايخ هناك، وهنا تواصل أولياء تلاميذ المدرسة الصديقية مع الشيخ أبي اليقظان من أجل التولي والإشراف على هؤلاء الطلبة ومتابعة دراستهم فهم لا يزالون في مرحلة دراستهم الابتدائية وبحاجة إلى الرعاية والمراقبة، فوافق الشيخ أبو اليقظان على هذا المشروع مباشرة وتشجع للفكرة، ورأى أن حلمه الماضي بدأ في التحقق[6].

وضمت البعثة في أول الأمر حوالي أربعة عشرة طالب فمن المدرسة الصديقية نجد: دحمان بن الحاج بكير المرموري، وحمو عيسى المرموري، وسعيد بن الحاج إبراهيم المرموري ومحمد بن مسعود المرموري ويسوف بن الحاج بكير المرموري، ثم انضم اليهم طلبة جدد ميزابيون كانوا متواجدين في تونس وهم بوهون بن قاسم الزيتون وأخوه بكير ومحمد بن عمر بوعصبانة ويحي بن الحاج يوسف مزوز وإبراهيم بن حمو بغباغة وأخوه أحمد و يحي بورورو من غرداية ومحمد بن إبراهيم المفنون من بني يزقن ومحمد بن الحاج عمر العنق[7].

ويمكن أيضاً أن نشير إلى الدور البارز الذي لعبه عبد الحميد بن باديس من خلال رحلته باتجاه جامع الزيتونة سنة 1908م، حيث كانت هذه الرحلة هي الجسر الذي عبرت عليه جل البعثات العلمية التي تتابعت على تونس بعد هذه الرحلة[8]، ولعل فكرة البعثات العلمية الميزابية التي كان يحلم بها الشيخ أبو اليقظان تولدت لديه من خلال ما كان يتابعه من أحداث حول جامع الزيتونة وما يشهده من نهضة فكرية وعلمية هناك.

وإن لجامع الزيتونة المعمور دور كبير في استقطاب الطلبة الجزائريين إلى تونس نظرا للمكانة العلمية المرموقة التي يحتلها في نفوسهم[9]، وكان طلاب العلم من الجزائريين يرون في طلب العلم من الزيتونة واجبا لا بد منه، كما يمثل ضرورة فرضتها ظروف الاحتلال، وأيضاً من

العوامل التي جعلت الطلبة يستقرون في رحلتهم العلمية بتونس تحديدا في رحاب جامع الزيتونة، طبيعة البرامج والمناهج المدرسة والمعتمدة في الجامع، وهي البرامج والمناهج التي استقرت بعد سلسلة من الإصلاحات التي نادى بها الطلبة كما نادى بها شيوخهم، فضلا عن وزن شيوخ الجامع وكفاءاتهم الكبيرة[10].

تعد الأمة الميزابية أمة تمتاز بالنشاط التجاري بشكل مميز وكبير، لهذا فلقد كانت الهجرة العمالية موجودة وبكثرة في أوساط الشباب الميزابي، حتى أننا نجد في التشريعات الخاصة بهيئة العزابة، أن المرأة تشترط على زوجها قبل عقد القران، عند الغياب عنها لمدة زمنية لا تتجاوز السنتين[11]، وهو ما يدل على انتشار ظاهرة غياب الرجل عن المنطقة لفترات طويلة، وهذا مرده للعمل الذي يكون خارج المنطقة وخاصة في مدن الشمال الجزائري.

ونجد أن الميزابيين كان لهم أيضاً نشاط عمالي مميز في تونس خاصة فيما يخص التكفل بالحمامات وهذا النشاط ليس بالجديد عليهم، فلقد كانوا منذ الدخول العثماني للجزائر يمتهنون هذه المهنة، بل وتزعموها أيضاً في الفترة العثمانية[12].

أما في تونس فكانت لهم مكانة مرموقة أيضاً، فنجد على سبيل المثال أنه في عهد الباي التونسي علي باشا (1742-1743م)، كان هناك شخص يدعى "بكير"، حيث كان المكلف بالإشراف على حمامات الباي، ويلقب بـ" معلم حمامجي"، وهذا الاسم يدل على أنه ميزابي.

فباستثناء أقلية ليست ذات أهمية تذكر.كانت تتعاطى الفلاحة، فإن الأغلبية من الميزابيين كانت إما تشتغل بالتجارة كتجارة الأقمشة وخاصة تجارة الفحم، أو تشتغل بقطاع الحمامات إلى حد اعتبار أن الميزابية كانوا محتكرين لقطاع الفحم والحمامات بتونس[13].

وكانت الهجرة العمالية لبني مزاب مصدرا مهما من مصادر تعمير الوادي –وادي ميزاب- من خلال ما كانوا يقومون به من مجهودات في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومساعدة الطلبة الميزابيين الذين يأتون للدراسة سواء في الزيتونة أو المدن الشمالية، ومن أبرز الأمثلة أيضاً ما ذكرناه سابقا حول تبرع الميزابيين بدار مجهزة لصالح المدرسة الصديقية، لهذا نستطيع القول أن الهجرة العمالية كانت من الأسباب التي ساعدت على نمو وازدهار الهجرات والبعثات العلمية إلى تونس.

أ – أماكن تواجد الميزابيين بتونس

كان عدد الجزائريين في تزايد مستمر، كما كانت بعض المناطق تستقطب المهاجرين بنسبة تزيد عن (71%) من مجموع المهاجرين الجزائريين وهي كل من مدينة تونس وضواحيها، والكاف وتبرسق وبنزرت، استقر بهم حوالي (29140) جزائري من المجموع الكلي لإحصاء 1936م، البالغ عددهم (40816)، واستقطبت مدينة تونس لوحدها أكثر من (27%) من مجموع المهاجرين لسنة 1936م.

وهناك مناطق احتلت المرتبة الثانية من حيث استقطاب المهاجرين ما بين (1000) و(2500) مهاجر وهي كل من توزر وسوق الأربعاء ومكثر وتالة وبها حوالي (6260) مهاجر جزائري بنسبة (15.33%) من مجموع الجزائريين الواردة في تعداد 1936م.

وأما المناطق التي انتشر في الجزائريون بنسب أقل من (1000) نسمة حسب إحصاءات 1936م فهي ترتكز في الجهات الجنوبية الوسطى التي لا تتوفر بها فرص العمل، وهي تعتبر مناطق طاردة للسكان حتى بالنسبة للتونسيين[14].

وتعد الفئة الميزابية المهاجرة إلى البلاد التونسية من أهم الفئات التي استقرت هناك، وذلك راجع إلى العلاقات التاريخية التي تربط المنطقتين خاصة ما يخص جزيرة جربة، إذ نجد أن نسبة الميزابيين بتونس كانت 19.5% من مجموع الجزائريين المتواجدين هناك بالنسبة لإحصاء سنة 1921م، وتعتبر هذه النسبة مهمة جدا إذا علمنا أن نسبتهم في الجزائر هي 0.5%، يتركز 66.5% منهم في جزيرة جربة[15].

ولقد كان هناك تطور في تعداد الميزابيين بتونس عبر مختلف السنوات، وكان تطور هذا التعداد راجع لظروف الهجرة، وعواملها من منطقة وادي ميزاب، أو الأوضاع في تونس.

السنة	العدد
1921	395
1926	205
1939	765

تطور تعداد المهاجرين بتونس خلال 1921-1936[16]

هذه لمحة عامة عن الحضور المزابي في الحاضرة التونسية خلال الفترة الاستعمارية، وأهم أطوارها التاريخية، وأماكن استقرارها في تونس.

التعريف بالحاج يحي بن حمو الواهج:

أ – نسبه:

يحي بن حمُّو بن عيسى بن يحي بن عيسى بن صالح بن عيسى بن حمُّو بن زكري بن داود بن عيسى بن محمَّد بن عيسى بن يزار الباروني.

ب – مولده ونشأته:

ولد الطفل يحي الواهج في حوالي سنة 1900م، بأحد قصور بلدة مزاب، وهو قصر غرداية، والده هو الشيخ حمو بن عيسى الواهج، وأمه القصبي عائشة[17].

وكما ينشأ جل أبناء منطقة مزاب في مرحلتهم العمرية الأولى، على تعلم قراءة القرآن، واللغة العربية وغيرها من مبادئ التعليم، نشأ الطفل يحي الواهج، في بلدته بريان، على يد الشيخ غرناوط أحمد بن يعقوب ، والشيخ بفولولو الحاج أحمد بن الناصر وتعلم هناك بعض سور القرآن الكريم.

لم يكمل الشاب يحي الواهج دراسته بانتظام وذلك بسبب مزاولته لمهنة التجارة منذ بداية شبابه، وربما هو الأمر الذي جعله فيما بعد يخدم اهل العلم والطلبة سواء في الجزائر أو في تونس.

ولكن بالرغم من كل ذلك أصر على التعلم خاصة لما وجد نفسه محتاجا للتعلم بسبب ظروف العمل، وجد نفسه وسط العمل أميا لا يستطيع كتابة اسم زبون أوعنوانه، أو قراءة وثيقة كالفاتورة مثلا أو التلغرام أو .... عند ذلك قرَّر البحث عن مدرسة ليتعلَّم فيها، فوجد بعد بحث مدرسة ليلية أوقاتها لا تتعارض مع مواقيت عمله، فانخرط فيها يتعلم مع أطفال صغار واصطبر أمام استهزائهم وضحكاتهم عليه، حتى وجد نفسه يستطيع الكتابة والقراءة بعد أحد عشر 11 شهرا[18].

ج - رحلة البحث عن العمل:

عندما بلغ الصبي يحي الواهج عمر 14 سنة، توفي والده الحاج حمو بن عيسى سنة 1914، فأصبحت العائلة في حاجة الى المعيل، ولقد كان الصبي يرافق أباه لخدمة الأرض والفلاحة، ولكنه توجه نحو مهنة محببة له، وهي التجارة، فقام أحد أفراد أسرته بتيسير السفر له نحو مدينة غليزان، حيث اشتغل في محل لبيع المواد الغذائية لمدة تزيد عن السنتين.

وسافر سنة 1917م من مدينة غليزان إلى مدينة العلمة حاليا (سانت أرنو) ليشتغل عند أحد أبناء بلدته غرداية، في متجر كبير يبيع كل شيء، وكانت له محبة لصاحب ذلك المحل الذي أخذ عنه الخبرة في ميدان التجارة.

وفي سنة 1920م، بدأت الحكومة الفرنسية ترسل إليه استدعاءات الخدمة الوطنية الواحدة تلو الأخرى، فلم يكن له بدٌّ إلا الخروج من التراب الجزائري. ولكن إلى اين؟، وهو اليتيم الذي لا أهل له في أيّ مدينة أو بلد آخر غير مسقط رأسه.

ومع حلول سنة 1921م، بعد أن حاسبه مديره صاحب المتجر، خرج إلى محطَة القطار ووقف في الطابور أمام شباك قطع التذاكر وهو لا يعلم إلى أين سيتَّجه، فسمع الشخصَ الذي كان قبله في الطابور يطلب تذكرة إلى تونس، ففعل مثله وطلب هو الآخر تذكرة إلى تونس[19].

وفي تونس اشتغل في بداية الأمر عند أحد التجار اليزجنيين القدماء بتونس، هو: عيسى الشيخ، (من عائلة مفدي زكرياء، والشيخ صالح السياسي المعروف في قيادة الحزب الدستوري بتونس)، أجيرا تسع سنين، ثمَّ شريكا لأربع سنوات[20].

ليستقل بعد ذلك مفتتحا محلا خاصا به لبيع الأقمشة، وكان يقع في سوق الأقمسة المعروف بسوق الترك[21]، بتونس العاصمة بضواحي جامع الزيتونة، ولقد كان محل الحاج يحي الواهج هو نفسه مقر سكناه، فجزء للمحل والجزء الخلفي للإقامة والسكن، ولقد كان محله كما يذكر أحد زواره " دكانه نظيف ومنظم ومرتب ترتيبا لا يضاهى، فعمي يحي الواهج رجل مثالي مشهود له بالخفة والنظام والصرامة"[22]. وبقي في هذا المحل الذي شهد الكثير من الزيارات من طرف العديد من الشخصيات والطلبة وغيرهم، وكان أيضا محلا لاستقبال الرسائل والطرود التي تأتي من الجزائر نحو تونس والعكس.

وعلى عادة جميع الميزابيين لم يقم الحاج الواهج بجلب أسرته إلى تونس، لأن ذلك كان منافيا للمعتقدات والتعليمات الخاصة بالهيئات العرفية المزابية، وترك زوجته وابناءه هناك في الجزائر، إلا في حالات معينة فقط كان يستقدم معه في بعض الأحيان ابناءه من أجل التطلع عن مدينة تونس، وعن المحل والتجارة هناك.

وبعد فترة من العمل في تونس، عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال سنة 1963م، فاشترى محلاً بالجزائر العاصمة بعدما باع محله بتونس، والمحل يقع في شارع: damrement (عبد المالك شرديب حاليا) الجزائر العاصمة، وعمل في مجال الأقمشة بالجملة، كما اشترى مسكنا في

شارع la lyre (بوزرينة أحمد حاليا)[23]، وبعد طول عناء وتعب في ميدان التجارة وعدة ميادين أخرى سنتطرق اليها، عاد الشيخ يحي الواهج نحو بلدة بريان ليستقر بها الاستقرار النهائي والدائم وكان ذلك سنة 1973م، ليبقى بين أهل بلدته وأصدقائه، وبين أهل بيته وأبنائه الى وفاته في 4 اوت 1995م، عليه رحمة الله[24].

د - زواجه و أبناءه:

تزوج الحاج يحي بن حمو الواهج زيجتان فكانت زوجته الأولى مامة بنت اشقبقب (حيايو) أنجب منها ابنا وحيدا "محمد"، وأما زوجته الثانية موسلمال منّة بنت قاسم، أمها عائشة بنت داود كاسي وصالح، ولقد تزوج منها في 16 جوان 1946[25]، أنجب من منّة ن كاسي 04 ذكور و03 بنات[26].

ولقد كان الزواج من أهم الأسباب التي جعلت الحاج يحي الواهج يستقر في بلدة بريان عوضا على بلدة مسقط رأسه غرداية، وذلك راجع تعرَّفه على أحد الطلبة البريانيين بتونس في العشرينات من القرن الماضي ضمن بعثة الشيخ أبي اليقظان وهو صديق حميم لمفدي زكرياء، وهو المرحوم: عيسى بن إبراهيم عبود[27]، فأحب هذا الأخير الواهج لنشاطه الكبير وحماسه واستقامته، فرغبه للزواج من بريان ووفَر له كل شيء يحقق له ذلك، رفقة رجل من عشيرة الشيخ الواهج فرع بريان، هو: السيد: دبوز سليمان بن باحمد[28]؛ وهكذا استقرَّ في بريان واستحسن المقام بها.

وكان (رحمه الله) شديد الحرص على تنشئة أبنائه نشأة صالحة، مبنية على الاستقامة الدينية والعقيدة الصحيحة والأخلاق الحميدة، وفق الأعراف والعادات والقيم الاجتماعية الاسلامية الراقية.

وبحكم غيابه في تونس، وأسفاره المتعدِّدة بين الجزائر وتونس لتوزيع بضاعته على التجار في شمال الجزائر من عنَّابة إلى منطقة وهران في الغرب الجزائري، كان يعرِّج في كلِّ مرَّة نحو الجنوب إلى مزاب، ليتفقَّد أسرته، ويلتقي بالمشايخ والأعيان، ويحمل معه أمانات ووصايا طلبة البعثة العلمية في تونس وغيرها من الرسائل التي سوف نتحدث عنها لاحقا[29].

ومع ذلك، كلَّف أحد أصدقائه الصالحين المخلصين، وهو معلِّم القرآن الكريم بالمدرسة وعضو في هيئة العزابة، بمراقبة ومرافقة ورعاية أبنائه وبناته وكامل أسرته، فكان في مقام الوكيل الرسمي على الأبناء.

وكان شديد الحرص أن يعلِّم أبناءه كلَّ صغيرة وكبيرة تنفعهم في الحياة بشكل عامٍ، وكما يقول أبنه يوسف الواهج في حوارنا معه ما يلي "... حتى الأكل باليمنى ويضربنا عليها، وطريقة التسوُّق اليومي من السوق، وكيفية اغتنام الوقت وترتيب الأوليات وما إلى ذلك. أمَّا ما يتعلَّق بالدين والأخلاق والحلال والحرام فلا يتساهل فيه أبدا، أبدا."

أمَّا عن تحريض الأبناء على طلب العلم، فكان حلمه الأوَّل والأكبر أن يتفرَّغوا لطلب العلم، فكان يشجِّعهم (بنين وبنات على طلب العلم) ومن حبِّه للعلم وهب نفسه لحبِّ وخدمة العلم وطلابه، وهو ما سنتحدث عنه في العنصر الموالي[30].

هـ- علاقات الشيخ الواهج مع أعيان مزاب وشخصيات جزائرية:

لقد كان للشيخ يحي الواهج علاقات واسعة جدا، في كل قطر من أقطار الوطن تقريبا، وأيضا خارج الوطن خاصة في تونس ومصر وليبيا، وبحكم تجارته الواسعة كانت شبكة علاقاته الاجتماعية ممتدة، وأيضا عندما أصبح أبا للبعثات العلمية المزابية هناك، وأحد رجال ووجهاء البلدة الملتزمين بإصلاح المجتمع والنهضة في مزاب عامة وبريان خاصة، أكسبه ذلك علاقات كبيرة.

أما بالنسبة للمزابيين، كان يتعامل بكثرة مع أغلب الأعيان والوجهاء، خاصة المشايخ، كالشيخ أبي اليقظان، والشيخ بيوض، والشيخ عبد الرحمن بكلِّي[31]، الحاج أحمد أوراغ، والشيخ حمو فخار، والقائد الإصلاحي عمر بن سليمان بودي، وغيرهم كثير، وكلُّ هؤلاء كانوا من زوَّاره ونزلائه الدائمين في متجره ومسكنه بتونس، ثمَّ بالجزائر بعد الاستقلال.

أمَّا من غير المزابيين، فكان يتعامل كثيرا مع أعضاء الحكومة المؤقَّتة بتونس، وبعض المجاهدين من قادة الثورة على غرار رئيس الحكومة المؤقَّتة المجاهد يوسف بن خدَّة، والمجاهد الكبير عباس التركي، وبن طوبال، وهناك أسماء أخرى كثيرة خاصة بعد انخراطه في العمل الثوري كما سوف نرى لاحقا.

هذا إضافة إلى كبار الطلبة الذين تخرَّجوا من معاهد تونس والجامعات المختلفة عبر العالم، مثل الدكتور صالح خرفي، ومحمَّد لعساكر، وعبد الوهاب بكلِّي، ....وغيرهم[32].

دور الحاج يحي بن حمو الواهج في دعم البعثات العلمية المزابية في تونس:

من خلال مطالعاتنا وقراءتنا لما بحوزتنا من وثائق ومراسلات، تبين لنا أن للحاج يحي الواهج دور كبير واسهام بالغ في دعم البعثات العلمية، وكان له علاقة وطيدة مع هؤلاء

الطلبة، وتعددت تلك المساهمات في كثير من الجوانب، وأيضا من خلال المقابلات التي أجريناها مع بعض الطلبة يتضح مدى الحب والعاطفة التي يكنها هؤلاء الطلبة للحاج يحي الواهج رحمه الله، الذي كان لهم بمثابة الأب والعين الحارسة لهم في تونس.

وسنحاول من خلال ما تجمع لدينا من معلومات الإحاطة بتلك الجوانب المتعددة في دعم البعثات العلمية المزابية بتونس.

أ – تسفير الطلبة نحو تونس:

لقد كانت رحلة الطالب نحو تونس في تلك المرحلة التاريخية يكتسيها الكثير من المخاطر والظروف السيئة، وخاصة خلال الفترة التي نحن في صدد دراستها، وهي فترة الخمسينيات، حيث وبالأخص بعد اندلاع الثورة التونسية سنة 1952، وثورة التحرير الوطني سنة 1954، فلذلك رحلة الطالب أو البعثة العلمية بشكل عام تمر بمراحل وظروف صعبة وفي بعض الأحيان تكون الرحلات فاشلة أو تكون عبر عدة محاولات.

لذلك قام الحاج يحي بن حمو الواهج بدور فعال في هذه العملية من خلال نقله لعدد كبير من الطلبة نحو العاصمة التونسية، وبحكم أنه كان تاجرا يتنقل بصفة مستمرة على الحدود الجزائرية التونسية وعبر نقاط التفتيش المعلومة، فلقد كان ذا وجه معلوم ومعروف لديهم، ولقد كانت حجة الشيخ في ادخال هؤلاء الأطفال مرة تحت حجة أنه ابنه، ومرة تحت حجة أنه أحد العمال الذين يشتغلون لديه في تونس، حتى أنه في أحد المرات سأله أحد رجال أمن الحدود: **كم عندكم من الأبناء**؟ وهو دلالة على العدد الكبير من الأطفال والشباب الذين ادخلهم الحاج يحي لتونس تحت الحجج المذكورة، وهم لم يكونوا سوى طلبة متوجهين صوب المعاهد العلمية المعروفة في تونس، والانخراط ضمن البعثات العلمية هناك[33].

وربما القارئ الكريم لا يدرك حجم الخطورة التي قد تعترض مثل هذه العملية، خاصة في ظل ظروف استعمارية صعبة، وفي ظل رقابة عسكرية متشددة خاصة بعد اندلاع الثورة التحريرية، وغلق الحدود في ظل مشروع شال موريس المعروفة، لذلك لعب الحاج يحي الواهج دورا كبيرا وعرض نفسه للخطر ولم يأبه لكل ما سوف ينجر وراء هذه العمليات لو تمت عملية مسائلته وانكشاف أمره.

ب – الدعم المادي للبعثات العلمية المزابية بتونس:

لعبت البعثات العلمية المزابية نحو تونس دورا كبيرا وهاما في انعاش الحركة الثقافية والعلمية والاصلاحية في الجزائر عامة ومزاب خاصة، وكان لهؤلاء الطلبة اسهامات بالغة سواء في الحياة الثقافية والسياسية بتونس، أو في الجزائر، ولقد مرت البعثات العلمية بعدة مراحل بدءا بأول بعثة نحو تونس سنة 1917، بقيادة زعماء الإصلاح في مزاب من أمثال الشيوخ: أبو اليقظان، ابي إسحاق اطفيش، صالح بن يحي، وغيرهم من العلماء، لتتوالى البعثات تترا على حاضرة تونس، حتى وصول مرحلة ما يسمى بالبعثات البيوضية التي استمرت الى غاية الاستقلال.

وربما لو لم يكن وراء هذه البعثات العلمية، عدة أسباب للنجاح لما وصلت لتلك النتائج الهامة، ولعل من أبرز تلك العوامل والأسباب، وجود عدة شخصيات داعمة لهذا المشروع، سواء كان الدعم في شكل مادي، أو في صور معنوية، ولقد تعددت تلك الأشكال والصور، ولقد كان الشيخ يحي الواهج من أبرز أولئك الرجال والشخصيات.

فمن خلال تواصلنا مع عديد الطلبة المزابيين، يتضح الدور الذي قام به الشيخ يحي الواهج لصالح الطلبة في تونس، من خلال الدعم المادي، وهم يتذكرون كل تلك الجهود التي قام بها لصالحهم خاصة في الأوقات الصعبة.

ولقد تنوعت الحالة المادية لطلبة البعثة حسب ثراء أو فقر كل عائلة من عائلات الطلبة، ونجد أن العشيرة كانت تتكفل بالطلبة الذين لم يكن لديهم أموال تكفيهم من أجل الذهاب إلى تونس والدراسة هناك، ونجد أيضاً بعض الأثرياء من التجار الميزابيين كانوا يتكفلون بمجموعة من الطلبة[34].

فنجد على سبيل المثال السيد يحي بن حمو الواهج، تحمل العديد من النفقات في مجال البعثات العلمية، وتكفل بنفقات الكثير من الطلبة الميزابيين أيام الأزمة الاقتصادية وانقطاع المدد عليهم، وكان رحمه الله على اتصال دائم مع أهالي الطلبة الميزابيين[35] في أوطانهم[36].

ففي رسالة قام بإرسالها الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي إلى الشيخ العساكر الحاج حم، يخبره فيها عن تحمل الأعباء المالية لبعض الطلبة الميزابيين، والوقوف معهم مهما كلف الأمر، ويخص بالذكر فيها أيضاً الشيخ يحي بن حمو الواهج في مساعدته للطلبة إذا احتاجوا إلى أي

شيء، ومما جاء في الرسالة«...، وبالفعل بحثنا المسألة على ضوء الحالة في القرارة وسير التعليم فيها فتقرر بعد دراسة ساعات مايلي:

1 أفراد البعثة كلهم يجب أن يستمروا في التعليم إلى أن يثمروا ولو أدى ذلك إلى أن يستجدي لهم استجداء، إذ من المحال أن نجد أفرادا من أبنائنا تتوفر فيهم شروط الاستعداد مثلما توفرت في هؤلاء.

2 أن يستقروا[37] أولا في المحل الذي يسكنه بالحاج بن عدون في العلي ريثما يوجد لهم الأخ الواهج محلا أليق.

3 أن يتولى الإشراف العام عليهم الأخ الواهج ويعينهم سيما إذا احتاجو أمرا...»[38].

ومن خلال هذه الرسالة يتبين لنا مدى الاعتماد على الشيخ الواهج يحي في التكفل بالطلبة ماديا، والاعتناء بهم في كل مايخص ظروفهم ورعايتهم في شؤون المصاريف الخاصة بهم، وخاصة عند وقوع بعض الظروف الاقتصادية الصعبة.

ولقد كان الحاج الواهج يحي إلى جانب كل هذه التكاليف سواء منها المادية أو المعنوية، مساهما بدرجة كبيرة في شراء دور للسكن الخاصة بطلبة البعثات العلمية، وهي المهمة التي قام بها على أحسن وجه، سواء من حيث الاستشارة او من حيث الدعم المادي الذي كان يقدمه باستمرار[39].

وفي رسالة كان أرسلها الشيخ صالح الخرفي[40] عندما كان طالبا في القاهرة للشيخ الحاج الواهج في تونس يقول فيها: "... أمنية طالما تمنيناها فحمدنا الله اليوم على تحقيقها زودونا بهذه النصائح الغالية. وليكن سخاؤكم بها لا يقل عن سخائكم المادي. اننا في غربة وفي غربة قاسية بعيدين كل البعد عما يزيل صدأ القلوب الا ما تتلقاه منكم الفينة تلو الأخرى فتعهدونا بذلك ولا تغفلوا عنا"[41].

فيذكر هنا الشيخ صالح خرفي، بعد أن شكر الشيخ الواهج عن نصائحه للطلبة في القاهرة، طلب منه المساعدة المادية وأن يتذكرهم من سخائه وفيضه اللامتناهي، وذكره أنهم في القاهرة في غربة قاسية ولا يوجد ما يعينهم ويساعدهم ماديا الى تلك العطايا التي تصلهم من الحاج الواهج بين الفينة والأخرى.

وهي دلالة واضحة تمام الوضوح عن سخاء وعطاء الحاج الواهج لطلبة البعثة المزابية في تونس، وحتى الذين غادروا تونس ليلتحقوا بمعاهد علمية أخرى في الوطن العربي، كما فعل مع الشيخ صالح خرفي عندما غادر تونس نحو القاهرة.

ج – الدعم المعنوي لطلبة البعثات العلمية المزابية:

لم يكن للشيخ الواهج دور في الدعم المادي فقط، فلقد كان أيضا مرافقا للطلبة في مختلف مناحي حياتهم، وخاصة في الجانب النفسي والمعنوي، فكان يزورهم ويتسامر معهم، وايسهر على راحتهم وإزالة الشوق عنهم خاصة من هم في سن صغيرة، ويتجاذب معهم أطراف الحديث ليعرف همومهم ومشاغلهم خاصة لأولئك من في سن المراهقة والشباب.

ففي رسالة أرسلها الشيخ صالح خرفي للشيخ الواهج ذكر فيها ما يلي "...، هذه هي رحلتي باختصار، ولي على الرحلة كلام كثير ليس هذا وقته، وسأخصص له رسالة مطولة أرسلها الى البعثة لتسرد عليها، وعم الحاج في صدر الجلسة وكؤوس الشاي تدور"[42].

وفي رسالة ثانية بعد الرسالة السابقة يقول فيها الشيخ صالح خرفي ما يلي " ... أرجو أن تجمعكم رسالتي هذه في جلسة تغمرها الرحمة والسكينة، وأرجو أن لا يتخلف عنها أحد منكم لمرض، أو لوجع في فخضه، كما أرجو أن يتصدر جلستكم أبوكم الروحي السيد عم الحاج يحي الواهج وان لم يكن فأرجو له جلسة أمرح من جلستكم تحت ظلال آسيا[43]"[44].

فمن خلال هذين الرسالتين يتضح لنا أن الشيخ الواهج يحي كان يجتمع مع طلبة البعثة في دار البعثة، ويتسامر معهم هناك، ويؤنسهم في وحشتهم وغربتهم، وكان كما ذكرت الرسالة يتصدر الجلسة والمجلس، وهذا كله لكي يعوض الطلبة على غياب أسرهم وذويهم في تونس، وربما هذا الدور المعنوي كان له الأثر العميق في نفوس الطلبة ومعنوياتهم وهو الذي سيؤثر بطبيعة الحال على مسارهم العلمي والدراسي.

بالإضافة الى المؤانسة والمسامرة، كان الشيخ الواهج يحي لا ينفك عن تقديم وتوجيه النصائح والتوجيهات لأبناءه الطلبة في البعثة وهو ما تدل عليه أيضا رسائل الشيخ صالح التي كان يرسلها من القاهرة للحاج الواهج في تونس ومنها هذه الرسالة التي قال فيها: " ... يا عم الحاج، يا أب البعثتين التونسية والمصرية. ان فضلك لا يغيب عن ذهننا ولا لحظة واحدة وسيكون الدافع القوى على العمل وبذل الجهود، وان نصائحك الغالية الخالدة تتمثل أمام

عيوننا في كل دقية وستكون هي المشعل الوضاء الذي نحمله في ظلام الغربة القاسية ولن يهدينا الا الى ما يرضي الله ورسوله"[45].

ولقد ذكر بعضا من تلك النصائح والتوجيهات التي كان يقدمها لهم الشيخ الواهج يحي في رسالة أخرى فقال فيها "... إن نصائحك الغالية التي ودعتني بها لا تنسى، وهي دستورنا هنا في القاهرة نسير على ضوئها ونهتدي بهديها، وأنا اعتقد أن من استمسك بها فلن يخيبه الله ابدا. الصلاة جماعة والإخلاص في العمل وعدم الاشتغال بالسفاسف والتفرغ للعلم.[46]"

فهذه بعض من النصائح التي يقدمها الحاج يحي الواهج لأبناءه الطلبة، وكلها كانت نصائح ايمانية وتربوية وأخلاقية، تدعوا الى الحفاظ عن الصلاة في الجماعة خاصة، وهو الأمر الذي كان يشدد عنه مجلس العزابة في قصور مزاب السبعة، وقبل كل ذلك هو أمر رباني على كل مسلم، لذلك كان يشدد عليهم ويحرصهم على الحفاظ عن الصلاة في وقتها وفي جماعة، كما دعاهم الى صدق النية والإخلاص في العمل، وعدم الاشتغال بسفاسف الأمور كان ذكر، وهي نصيحة هامة للطلبة في تونس لكثرة الملهيات والمغريات في عاصمة مفتوحة على كل الأجناس في تلك المرحلة، خاصة منهم الاطياف الأوروبية، وأيضا مغريات الحياة الكثيرة سواء من لباس أو مأكل أو مشرب أو لهو وغيرها من السفاسف كما سماها الشيخ، والتفرغ فقط للعلم وطلبه، والاهتمام بالدروس وحلقات المشايخ ورفوف المكاتب وغيرها ما ينفع الطلبة وينفع أهلهم وذويهم هناك في الجزائر عامة ومزاب خاصة.

وفي رسالة أخرى كانت في نفس السياق يقول فيها "... وقد كان للرسالة وما تحويه من نصائح أثر كبير في نفسي وفي نفس اخواني وقد سردناها جماعة وسردتها أنا أكثر من ثلاث مرات. وصايا انبعثت من قلب مخلف صاف نسأل الله أن تتلقاها قلوب مخلصة صافية. رسالة كلها عطف وحنان وابوة رقيقة. فلا فض فو من أملى. ولا بترت يد من كتب"[47].

دور الحاج يحي بن حمو الواهج في الثورة التحريرية:

ان المتتبع لسيرة الشيخ يحي الواهج لا يمكن أبدا أن يجد هذا الشخص خارج دائرة دعم الثورة، وهذا الحكم عنده مبررات عدة.

أولا - أن شخصا بمكانته في الوعي والدعم الثقافي والعلمي للبعثات العلمية، التي كان المرجو منها محاربة الجهل والأمية في الجزائر ومزاب خاصة، لا يمكن أن يكون راضيا بالوضع في الجزائر وبالحالة الاستعمارية الموجودة في بلاده، وأن نفسه تتوق للحرية.

ثانيا – ان احتكاكه بشخصيات علمية مزابية كان لها دور في الوطنية والعمل النضالي مثل مفدي زكرياء والشيخ بيوض وإبراهيم غرافة من أبناء منطقته، مؤكد أن هذا الأمر سوف يؤثر في الشيخ الواهج وهو صاحب العلاقات الكبيرة سواء في الجزائر أو في تونس.

ولهذا نجد أن الشيخ أول ما عرض عليه مساعدة الثورة ودعمها لم يتردد أبدا ولا لحظة في هذا الأمر وانخرط في العمل بدون أن يفكر في أي خلفيات حول ميدان تجارته ونحن نعلم أثر العمل الثوري على الجانب التجاري والمادي للتجار والمقولة المعروفة التي تقول " رأس المال جبان"، ولكن الشيخ كان شجاعا هو وماله في خدمة الثورة التحريرية.

وقضية انخراط الشيخ في العمل الثوري ولصالح جبهة التحرير الوطني غير معروفة كثيرا وغير مذكورة بكثرة في المراجع والمصادر التاريخية، وربما يعود ذلك لأسباب لعل من أبرزها أن الحاج يحي الواهج كان متعففا في ذكر مناقبه وأعماله للثورة الجزائرية حتى لقادة الثورة ذاتها.

ولكن من خلال تقصي بعض المراجع حول الشيخ الواهج ودعمه للثورة، عثرت على لقاء أجراه الصحفي والمؤرخ محمد عباس مع الدكتور والمجاهد محمد لعساكر الذي كان رئيس البعثات العلمية البيوضية في تونس، وكان المسؤول عن الطلبة لصالح جبهة التحرير في تونس، فقال حول انخراط الشيخ يحي الواهج في العمل الثوري ما يلي: " وغداة مؤتمر الصومام حل بتونس مبعوثا من لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن المؤتمر المجاهد إبراهيم مزهودي، فاتصل بالطالب العساكر بواسطة عباس التركي مسؤول مالية جبهة التحرير الوطني في تونس آنذاك، ليطلب منه ترشيح شخص لنقل رسالة هامة الى قيادة الثورة بالجزائر العاصمة، كان الطلب مفاجئا ومخيفا أول وهلة.

لكن الطالب ما لبث أن وجد الشخص المناسب: تاجر شنطة نشيط يدعى يحي الواهج، وهو متطوع لخدمة الحركة الإصلاحية في واد ميزاب، وتميز بجهوده في تهريب طلبة المنطقة الراغبين في مواصلة الدراسة بتونس.

لم يتردد يحي الواهج في أداء هذه المهمة الخطيرة، لأن الأمر كان يتعلق بظرف سميك عليه خواتم جيش وجبهة التحرير الوطني.

ومنذ ذلك الحين أصبحت البعثة الطلابية المزابية حلقة اتصال هامة، تمر عبرها المراسلات الرسمية وشبه الرسمية.

الرسمية مثل تبادل الرسائل بين الشيخ بيوض بالقرارة والحكومة المؤقتة بتونس.

شبه الرسمية مثل نقل رسائل شخصية من بعض المسؤولين بالخارج الى أسرهم بالداخل. وقد تلقى العساكر شخصيا رسالة شكر من الشيخ محمد يكن الغسيري، على تبليغ رسائله الى ذويه في الجزائر."[48]

ومما يضيف للشهادة السابقة مصداقية أكبر وأقرب للحقيقة هي شهادة المرحوم إبراهيم بيوض رحمه الله الذي يذكر في كتابه أعمالي في الثورة ما يلي: "... ولما تأسست الحكومة المؤقتة الأولى للجمهورية الجزائرية بتونس، وشرعت السلطة الاستعمارية الفرنسية في التقاط النخبة المثقفة من الجزائريين والقضاء عليهم بمختلف الوسائل والطرق كل الاخوان تخوفوا علي وجاءوني كما جاءوني مرارا من قبل، ثم جاء سفير اتصالاتنا بتونس السيد الواهج الحاج يحي يحمل توصيات من الحكومة المؤقتة الجزائرية، ومن بعض الأصدقاء مثل السيد عباس التركي، ومن أبنائنا الطلبة في بعثة تونس وخاصة منهم العاملين في دوائر ومصالح الحكومة المؤقتة مثل الأستاذ محمد العساكر..."[49].

وفي نفس هذا السياق من نشاط وإخلاص الشيخ يحي الواهج في خدمة الثورة التحريرية، فلقد جاء في أحد رسائل الشيخ صالح خرفي ما يلي "... وقد وجهت اليكم رسالة قبل اتصالي برسالتكم أرجو أن تكون رحلتكم وأمس فقط عقدنا جلسة عند الأخ فخار لو جعل لها عنوان لكان عنوانها (الواهج) فقد رددنا ذكر نصائحكم ونشاطكم في سبيل انقاذ (أتغرسان)[50] وفي سبيل خدمة الجزائر زادكم الله شجاعة على شجاعة وأبعد عنكم كل بلاء وقد أعجب كل الاخوان بنشاطكم وشجاعتكم وتفانيكم في سبيل القضية وسفارتكم المخلصة ورفعوا أيديهم راجعين من الله أ يكلأكم برعايته في الحل والترحال"[51]

ومن ضمن الرسائل التي كان يرسلها الأديب صالح خرفي للشيخ الحاج يحي الواهج رحمه الله مقطع يشير فيه إلى دوره في إيصال الثورة التحريرية الى منطقة القرارة وربما يقصد بذلك ان الحاج يحي الواهج كان له الفضل في ربط التواصل بين قيادة جبهة وجيش التحرير الوطني بالشيخ إبراهيم بيوض في بلدته القرارة ويقول في مقتطف الرسالة " ... وجهت اليكم رسالة بعد وصول العساكر، وأبديت فيها اعجابي بشجاعتكم النادرة في إيصال (نوفمبر) إلى القرارة جعل الله النار حولكم بردا وسلاما..."[52]

كما نجد تصريح وشهادة المجاهد الكبير الأخضر بن طوبال، أحد قيادات ثورة التحرير وزعماءها البارزين، حيث يقول: "... لقد كانت لي عدة اتصالات مع الشيخ بيوض باعتباره شخصية صحراوية، وكانت الاتصالات الكتابية والشفوية تتم بواسطة السيد الواهج يحي"[53].

ومن الشهادات الحية حول دور الشيخ الواهج يحي بن حمو في الثورة التحريرية هو ما جاء في تقرير حول احداث الثورة التحريرية بولاية غرداية للفترة ما بين 1959-1962، وهو تقرير أعدته المنظمة الوطنية للمجاهدين وصودق عليه بتاريخ 9 أكتوبر 1986، ومما جاء في هذا التقرير ما يلي: "... نقول نحن بعض الذين يحررون هذا التقرير – وقد كنا طلبة ولاجئين آنذاك في تونس- إننا شهود عيان على هذه المراسلات التي كانت متبادلة بين الشيخ بيوض هنا من ميزاب وبين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في تونس بواسطة الاتصال المتردد بين الجزائر وتونس – بصفته تاجرا- السيد الواهج الحاج يحي بن حمو لإبلاغها الى مكاتب الحكومة المؤقتة والحزب بنهج الدباعين، والمنزه ما بين البلفدير وآريانة ونهج الصادقية وغيرها. كما يشهد بذلك السادة الإخوة أعضاء شركة عمر بن بكير ومن معه بباب عزون الجزائر، إذ كانوا عادة هم الواسطة بين الواهج الحاج يحي من بريان، والشيخ بيوض من القرارة"[54].

الخاتمة:

وفي الأخير ومن خلال هذه الورقة البحثية الاستقصائية حول مسيرة الراحل الحاج يحي بن حمو الواهج، أود أن أجمل الخاتمة في نقاط استنتاجية وهي كالتالي:

1- لعبت الكثير من الشخصيات ذات الوزن الاجتماعي والاقتصادي والديني، دورا كبيرا في مسار الحياة النضالية والثورية وخدمة المجتمعات الجزائرية من مختلف الجوانب، ولكن نظرا لعدة ظروف سياسية واجتماعية وجدت هذه الشخصيات نفسها خارج سياق الكتابة التاريخية.
2- لقد كانت البعثات العلمية الجزائرية نحو البلاد التونسية، رافدا مهما من روافد النهضة والإصلاح في الجزائر خلال النصف الأول من القرن الماضي، وأيضا لعبت دورا بارزا ومهما في مسيرة النضال والبناء في النصف الثاني من نفس القرن.
3- تعد منطقة مزاب بالجزائر، من أبرز المناطق التي مازالت تحافظ على الهوية والقيم الوطنية والدينية للمجتمع الجزائري، وهي تعد منطقة ترمومتر بالنسبة للمجتمع الجزائري خاصة في مسألة الهوية والمذهبية والاثنية.

4- يجب على الباحثين والمهتمين اماطة اللثام ونفض الغبار على كثير من الشخصيات الوطنية التي ساهمت وأثرت الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية في الجزائر ولكنها لم تجد العناية والرعاية من طرف الباحثين وبقيت شخصيات غامضة ومجهولة، في حين نجد الكثير من الوثائق والرسائل والصور والشهود الذين نستطيع من خلالهم أن نبني رؤية تاريخية لتلك الشخصيات.

ملاحق:

الوثيقة رقم 1

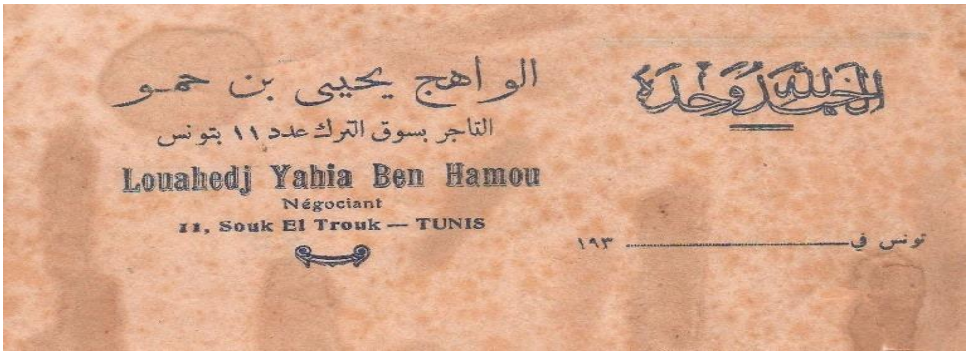

رسالة توضح مقر محل الشيخ يحي الواهج في تونس – سوق الترك عدد 11-

الوثيقة رقم 2

رسالة توضح مقر محل الشيخ يحي الواهج في الجزائر بعد عودته من تونس –نهج دمريمون عدد1-

الوثيقة رقم 3

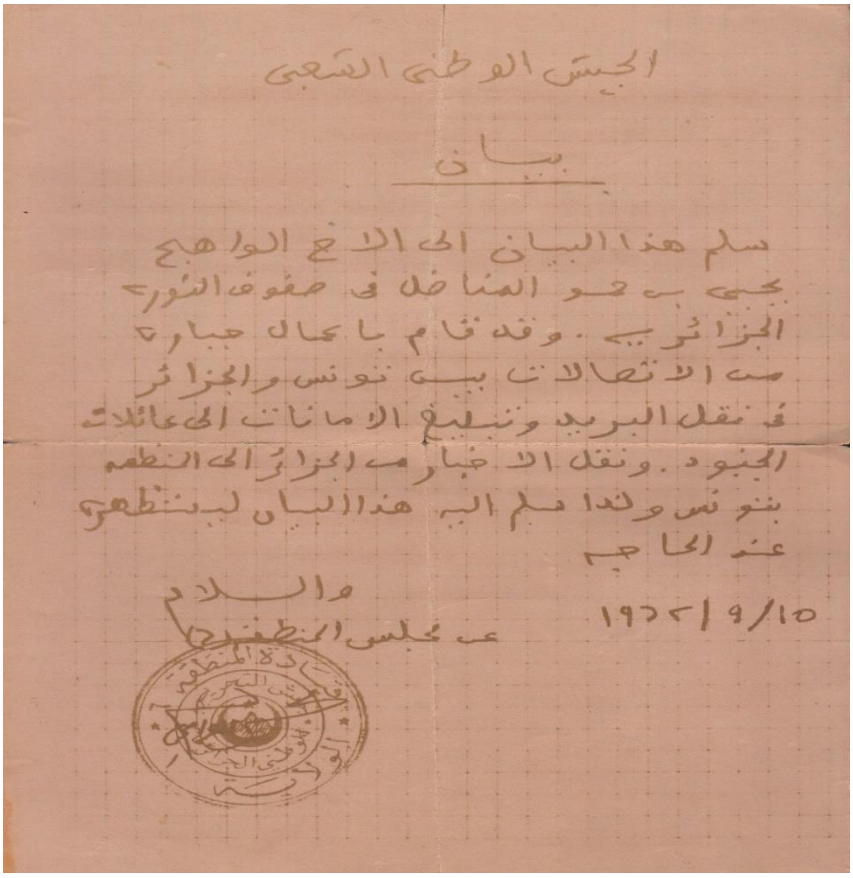

الجيش الوطني الشعبي

بيان

سلم هذا البيان الى الاخ الواهج يحي بن حمو المناضل في صفوف الثورة الجزائرية. وقد قام باعمال جبارة من الاتصالات بين تونس والجزائر في نقل البريد وتبليغ الامانات الى عائلات المجنود. ونقل الاخبار من الجزائر الى النظمة بتونس ولهذا سلم اليه هذا البيان ليستظهر عند الحاجة

والسلام

عن مجلس النظمة

1962/9/15

بيان مسلم من طرف جيش التحرير للشيخ الواهج يحي بن حمو يبين مهامه أثناء الثورة التحريرية، وقد تم تسلم هذا البيان في 15-09-1962

الوثيقة رقم 4

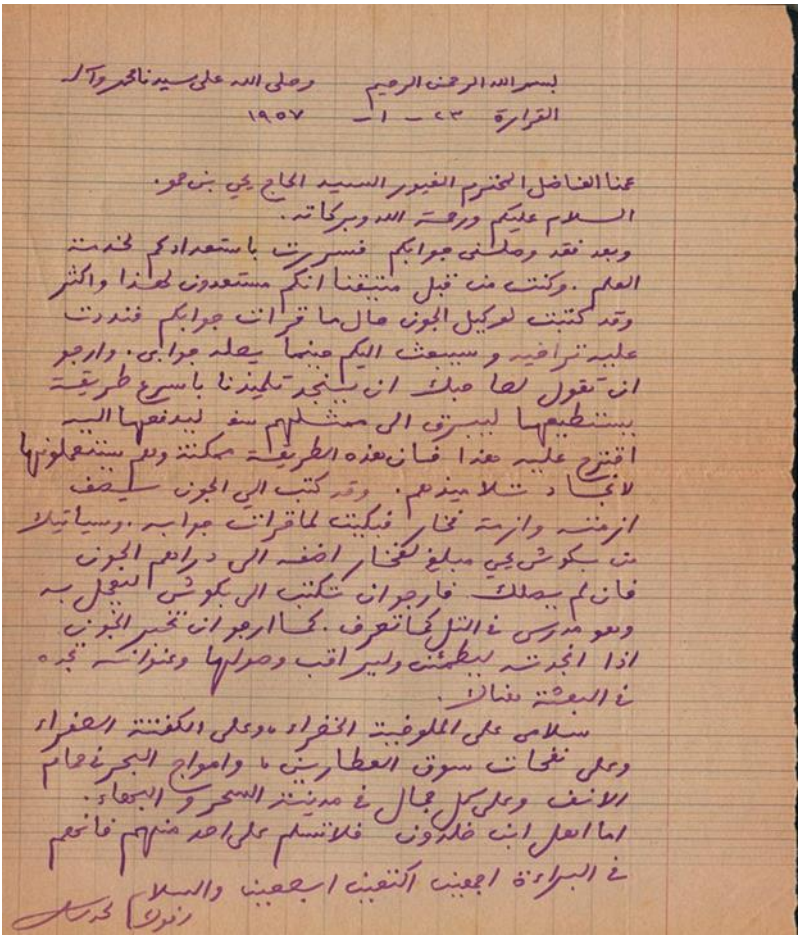

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
القرارة ٢٣ – ١ – ١٩٥٧

عمنا الفاضل المحترم الغيور السيد الحاج يحي بن حمو.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وبعد فقد وصلتني جوابكم فسررت باستعدادكم لخدمة العلم. وكنت من قبل متيقنا انكم مستعدون لهذا واكثر وقد كتبت لوكيل الجون حال ما قرات جوابكم فندوت عليه تراخيه و سيبعث اليكم حينما يصله جوابي. وارجو ان تقول لها حبك ان يبلغنا تلغرافا باسرع طريقة يستطيعها ليبرق الى مشايخ سف ليدفعها اليه اقترح عليه هذا فان هذه الطريقة ممكنة ولم يستعملوها لانجاد تلاميذهم. وقد كتب الي الجون سيصف ازمته وازمة نخار فبكيت لما قرات جوابه. وسيأتيك من بكوش يحي مبلغ لنخار اضفه الى دراهم الجون فان لم يصلك فارجو ان تكتب الى بكوش ليعمل به وهو مدرس في التل كما تعرف. كما ارجو ان تخبر الجون اذا انجدته ليطمئن وليراقب وصولها وعنوانه تجده في البعثة بغان.
سلامي على الملوفية الخضراء وعلى الكفتة الصفراء وعلى نخلات سوق العطارين ما وامواج البحر في عام الانف وعلى كل جمال في مدينة السحر و البهاء.
اما اهل ابن خلدون فلا تسلم على احد منهم فانهم في البراءة اجمعين اكتعين ابصعين والسلام
نزن محمد

رسالة مرسلة إلى الشيخ يحي بن حمو الواهج من بلدة القرارة، يوم 23 جانفي 1957م. حول مساعدة مجموعة من الطلبة ماديا.

الهوامش:

[1]- الشيخ أبو زكريا بن صالح الأفضلي (ولد:1714م/توفي1788م)، هو من العلماء الأعلام، وكبار المشايخ في وادي مزاب إبان النهضة الحديثة، ويعد هو باعثها الأول، تلقى مبادئ العلوم في مسقط رأسه ببني يزقن، ثم توجه نحو جزيرة جربة من أجل الاستزادة من مشايخها وعلماءها، ثم توجه صوب مصر للاستزادة أيضاً من علومها ومعارفها خاصة ما يخص المذهب الإباضي، ولقد كان يعتني بالمخطوطات النفيسة ويقوم بنسخها، بعد هاته الرحلة العلمية التي قام بها الشيخ الأفضلي رجع إلى مسقط رأسه وادي مزاب أين قاد هناك حركة اصلاحية شاملة، وتصدر للتدريس والتعليم وتخرج على يديه جملة من الطلبة النجباء الذين حلموا مشعل الاصلاح من بعده، بالإضافة إلى جملة من المؤلفات النفيسة في المذهب الإباضي. ينظر: جمعية التراث: **معجم أعلام الاباضية**، ج4، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 1999م، ص-ص (965-967).

[2]- جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص966.

[3]- محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**،، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م ، ص-ص(254-255).

[4]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: **معالم النهضة الإصلاحية عند اباضية الجزائر 1157هـ/1744م إلى 1382هـ/1962م**، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 2011م ، ص-ص(123-125).

[5]- إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان، (ولد: 1888م/توفي: 1973م)، من العلماء الأعلام في القرارة بميزاب، تعدت شهرته الحدود الوطنية، بدأ مشواره العلمي بالكتاب بمسقط رأسه بالقرارة، واستظهر القرآن عند الشيخ الحاج إبراهيم بن كاسي، ثم درس في معهد الشيخ عمر بن يحي، ثم انتقل للدراسة بمعهد القطب اطفيش ببني يزقن سنة 1907م، وكان من أبرز تلامذته، وكان قد رافقه في الدراسة بالمعهد في هاته الفترة كل من الشيخ أبو اسحاق اطفيش، والشيخ سليمان الباروني، ولقد كان تواقا للسفر نحو تونس وبالفعل تمكن من ذلك سنة 1912م، وانتسب للزيتونة، ثم ترأس أول بعثة علمية ميزابية بتونس سنة 1914م، وعاد في بداية الحرب العالمية الأولى إلى ميزاب، وبعدها ترأس البعثة مرة أخرى من سنة 1917-1925م، ثم عاد إلى مزاب ووقف بجانب الشيخ ابراهيم بيوض في حركته الاصلاحية، ولقد كان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويعتبر الشيخ ابو اليقظان شيخ الصحافة الجزائرية، حيث أصدر ثماني جرائد وطنية إسلامية باللغة العربية، فيما بين 1926-1938م، ولقد ترك الشيخ ابو اليقظان تراثا علميا وفكريا عاما، وتربو مؤلفاته عن 60 مؤلفا في شتى الفنون والعلوم، أصيب بالشلل النصفي سنة 1957م، ولكنه استمر بالعطاء والنشاط العلمي والثقافي، إلى أن وافته المنية بمسقط رأسه بالقرارة. ينظر: جمعية التراث: المرجع السابق، ج2، (52-56).

[6]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص-ص (569-570).

[7]- عبد القادر قويع: **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920-1954م**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، اشراف: مولود عويمر، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص 63.

[8]- محمد الصالح الجابري: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962م**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م، ص 34.

[9]- للتوسع والاطلاع أكثر حول دور جامع الزيتونة في الحياة الفكرية والعلمية والنهضة الاصلاحية بالجزائر ينظر: رابح فلاحي: **جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر 1908-1954م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري- قسنطينة، 2007-2008م.

[10]- علي بن حراث: **أسباب تركيز الرحلة العلمية الجزائرية على تونس**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م.، ص6.

[11]- محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، المرجع السابق، ص231.

[12]- محمد وقاد: **جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر اواخر العهد العثماني (1112هـ -1246هـ/1700م-1830م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، اشراف الدكتورة: فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر، 2009/2010م.، ص164.

[13]- عبد الكريم الماجري: **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس (1831-1937)**، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2010م.، ص-ص(528-552).

[14]- أحمد بن جابو: **المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف الدكتور: يوسف مناصرية، جامعة تلمسان، 2010-2011م.، ص-ص (179-180).

[15]- عبد القادر قويع: المرجع السابق، ص61.

[16]- Jamal hagui: **les algériens originaires du sud dans la ville de tunis pendant l'époque colonial (1881-1956) (mozabites, souafas, ouarglias)**, mémoire DEA, université de manouba, année universitaire 2003-2004, p55.

[17] بحث غير منشور حول شخصية يحي الواهج من اعداد الطالبة: فاطمة بنت صالح بورقيبة، سنة 2019.

[18] مراسلة مع يوسف الواهج ابن الشيخ الواهج يحي بن حمو، حول سيرة والده، لدينا نسخة منها.

[19] مراسلة مع يوسف الواهج ابن الشيخ الواهج يحي بن حمو، حول سيرة والده، لدينا نسخة منها.

[20] مراسلة مع يوسف الواهج ابن الشيخ الواهج يحي بن حمو، حول سيرة والده، لدينا نسخة منها.

[21] ينظر للوثيقة رقم 1 في الملاحق

[22] إبراهيم بن علي أحمد مردوخ: من ذكرياتي، مخطوط غير مطبوع، ص 47.

[23] ينظر الوثيقة رقم 2 في الملاحق

[24] بحث غير منشور حول شخصية يحي الواهج من اعداد الطالبة: فاطمة بنت صالح بورقيبة، سنة 2019.

[25] نسخة من عقد زواج الحاج يحي الواهج، لدينا نسخة منه.

[26] نفس المرجع.

[27] عبود إبراهيم بن عيسى بن الحاج إبراهيم وبجلود نانة من عشيرة آت بنورة والعطف، ولد ببريان خلال 1908م. وتوفي فيها يوم 29 أوت 1994م. درس في المحضرة والمدرسة الرسمية ثم جامع الزيتونة بتونس، ابتدأ العمل في الثورة من سنة 1956م. بواسطة قائد البلدة الطالب بودي عمر بن سليمان ومع مسؤولين عسكريين. كان ينقل الجنود بسيارته الخاصة ويقوم بضرورياتهم من مأكل ومشرب إذا نزلوا عنده. أعطى مسدسا تسعيا ألمانيا إلى المسؤول علَي السوطي. استمر في العمل إلى الاستقلال.

[28] دبوز الحاج سليمان بن احمد بن حمو. ولد خلال سنة 1877م/1294ه ببريان. عصامي التكوين في التعليم، وفي الجانب المادّي.عمل تاجرا نشطا في مجال الأقمشة بالخروب ناحية قسنطينة، وفلاحا في ناحية باللوح بعد تقاعده من التجارة.من اعيان بلدته وعشيرته النشطاء في الميدان الاجتماعي خصوصا، ثمَّ عيّن ضامنا للعشيرة "النشاشبة وأولاد يونس". توفي فيها يوم 26 جانفي 1950م/06 ربيع الثاني 1369ه.

[29] مراسلة مع يوسف الواهج ابن الشيخ الواهج يحي بن حمو، حول سيرة والده، لدينا نسخة منها.

[30] مراسلة مع يوسف الواهج ابن الشيخ الواهج يحي بن حمو، حول سيرة والده، لدينا نسخة منها.

31 عبد الرحمن بن عمر بن عيسى بكلي الشهير ب" البكري" (ولد:3اكتوبر 1909/توفي:13 جانفي 1986م)، عالم جليل وشخصية مرموقة بوادي مزاب ولد بالعطف، تعلم مبادئ القرآن الكريم والتوحيد بالمسجد العتيق بمسقط رأسه، وحفظ القرآن الكريم في مقتبل العمر، درس علوم اللغة والشريعة بمعهد عمه الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي، ثم سافر إلى الجزائري للاستزادة من اللغة الفرنسية، انتقل إلى تونس في اواخر سنة 1922م، حيث انظم إلى البعثة الميزابية هناك، ودرس بجامع الزيتونة على مشاهير العلماء في تلك الفترة، ودرس في المدرسة الخلدونية العلوم العصرية، وكان له علاقات وطيدة مع الحزب الحر الدستوري بقيادة عبد العزيز الثعالبي، وكان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء وعين عضوا في لجنة صياغة قانونها الاساسي، كما زاول التجارة وكان مدعما للحركة العلمية والثقافية، وعضوا ناشطا في كل النشاطات التي تقام من طرف جمعية العلماء بالعاصمة، شارك في تأسيس جمعيات اصلاحية بمنطقة وادي ميزاب، وعند اندلاع الثورة الجزائرية كان عضو فعال في العمل السياسي بالمنطقة، وألقي عليه القبض في سنة 1957م، ولقد عين بعد الاستقلال عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى، ولقد ترك الشيخ عبد الرحمن بكلي زاد فكري وعلمي كبير تشهد على رجاحة عقله وقوة ذاكرته، ينظر: جمعية التراث: المرجع السابق، ج3،ص-ص(521-528).

[32] مراسلة مع يوسف الواهج ابن الشيخ الواهج يحي بن حمو، حول سيرة والده، لدينا نسخة منها.

[33] يوسف الواهج: الحاج يحي الواهج " المهمة الصعبة"، مقال منشور ضمن سلسلة "من سجل التاريخ"، مدونة نور القلم، تاريخ نشر الموضوع: يوم الخميس 27 أكتوبر 2016م.

[34]- لقاء شفوي مع الشيخ صالح بن إبراهيم باجو، يوم 31 ديسمبر 2013م،على الساعة 10 صباحا، ببيته بالقرارة.

[35]- رسالة مرسلة إلى الشيخ يحي بن حمو الواهج من بلدة القرارة، يوم 23 جانفي 1957م. سلمت لنا من طرف يوسف الواهج، ابن الشيخ يحي الواهج.

[36]- جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص960.، لقاء شفوي مع الشيخ صالح باجو، المصدر السابق.

[37]- ويقصد هنا ثلاثة طلبة جدد سوف يتنقلون إلى تونس للانضمام إلى صفوف البعثة العلمية الميزابية بتونس، وهم: ابن زايد يوسف، الأطرش إبراهيم، ومحمد العساكر، وهذا الأخير سوف يصبح رئيس البعثة العلمية هناك بتونس.

[38]- عبد الرحمن بن عمر بكلي: **جمهرة رسائل البكري**، نشر مكتبة البكري، المطبعة العربية، غرداية، 2007م، ص-ص(178-179).

[39] رسالة من طرف يوسف الواهج

40 صالح خرفي: (ولد:1932/توفي:1998) ولد ببلدة القرارة، التحق بمدرسة التربية والتعليم بباتنة سنة 1938م، ثم عاد إلى القرارة والتحق بمدرسة الحياة، أين استظهر كتاب الله سنة 1946م، ثم أكمل دراسته الثانوية بمعهد الحياة، غادر الجزائر متوجها نحو تونس سنة 1953م، لكي يكمل دراسته في الزيتونة والمدرسة الخلدونية هناك، ولقد كانت له نشاطات ثقافية وعلمية في تونس، ثم تنقل إلى مصر وتحصل منها على شهادة الليسانس من جامعة القاهرة سنة 1960م، ثم تحصل على الماجستير سنة 1966م، والدكتورا سنة 1970م بنفس الجامعة، ولقد تقلد عدة مناصب علمية وثقافية في الجزائر، وساهم في الحياة الفكرية والعلمية بالمنشورات والمؤلفات التي انتجها، ينظر: قاسم أحمد الشيخ بالحاج: الشاعر صالح الخرفي صفحات في مساره الفكري والأدبي، ط1، نشر جمعية أنغام الحياة الثقافية القرارة، 2014م، ص-ص(13-30).

[41] رسالة مرسلة من طرف الشيخ صالح خرفي للشيخ الحاج الواهج يحي بن حمو، بتاريخ: 1957/12/03من القاهرة. لدينا نسخة منها.

[42] رسالة مرسلة من طرف الشيخ صالح خرفي للشيخ الحاج الواهج يحي بن حمو، بتاريخ: 1957/9/1 من طرابلس. لدينا نسخة منها.

[43] آسيا، هي اسم البستان الذي يملكه في بريان، مشهور بهذا الاسم إلى الأن، والاسم الحقيقي هو: صياغ، نسبة لعائلة من القرارة كانت تملك البستان وما جاوره، ومع الوقت تحول على ألسن الناس من صياغ، إلى آسياغ، ثم حذفت الغين

[44] رسالة مرسلة من طرف الشيخ صالح خرفي للشيخ الحاج الواهج يحي بن حمو، بتاريخ: 1957/9/10 من طرابلس. لدينا نسخة منها.

[45] رسالة مرسلة من طرف الشيخ صالح خرفي للشيخ الحاج الواهج يحي بن حمو، بتاريخ: 1957/9/19 من القاهرة. لدينا نسخة منها.

[46] رسالة مرسلة من طرف الشيخ صالح خرفي للشيخ الحاج الواهج يحي بن حمو، بتاريخ: 1957/11/22من القاهرة. لدينا نسخة منها.

[47] رسالة مرسلة من طرف الشيخ صالح خرفي للشيخ الحاج الواهج يحي بن حمو، بتاريخ: 1957/12/03من القاهرة. لدينا نسخة منها.

[48] محمد عباس: وداعا يا فيتنام ... اهلا يا جزائر، دار هومة، الجزائر، 2013، ص147.

[49] بيوض إبراهيم بن عمر: أعمالي في الثورة، جمع وتعليق: محمد صالح ناصر، ط2، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 2016، ص143.

[50] كلمة ميزابية يقصد بها " الميزابيين" والمقصود هنا " في سبيل انقاذ الميزابيين وفي سبيل خدمة الجزائر...".

[51] رسالة مرسلة من طرف الشيخ صالح خرفي للشيخ الحاج الواهج يحي بن حمو، بتاريخ: 1959/08/22من القاهرة. لدينا نسخة منها.

[52] رسالة مرسلة من طرف الشيخ صالح خرفي للشيخ الحاج الواهج يحي بن حمو، وجدنا تاريخ رسالة مكتوب 04/13 ونعتقد أن سنة الرسالة كانت في 1960، وهي مرسلة من القاهرة.

[53] محمد بن قاسم ناصر بوحجام: الشيخ بيوض وقضية فصل الصحراء عن الشمال، نشر وتوزيع شركة سوفاك، ص 23

[54] بيوض إبراهيم بن عمر: أعمالي في الثورة، جمع وتعليق: محمد صالح ناصر، ط2، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 2016، ص127.